من بين سطور حياتنا الأدبية

دكتـور محمـد محمـد الجوادى

دار الأطبـــاء

إهداء

إلى أستاذى الدكتور عبد القادر قطب
تحية الطبيب لأستاذه ، والمريض لطبيبه .

هذا الكتاب

قد لا يجد المؤلف حرجاً أن يعترف أن هذا الكتاب هو أقل كتبه عمقاً على الاطلاق ، على الرغم مما قد يوحى به عنوانه ، وما هو إلا مقالات متفرقة نشأت فى ذهنى فى أثناء مناقشات خاصة (فى الغالب) دارت حول موضوعاتها ، وقد آنست من افكار هذه المقالات نجاحاً فى تكوين أو تحويل أفكار كثيرة من الزملاء والاصدقاء الذين ينتمون إلى جيل شب فوجد السطور ولم يجد مابينها ، ثم جاءت رياح متعاقبة تحاول أن تزرع من الحقائق اكثرها بعداً عن الحقيقة ، وأن تغذى مسلمات هى نتاج الخلط .. وقد أصابت هذه الرياح فى بعض الأحيان نجاحاً فى غرضها ، ولكنها أصابتنا جميعاً بشىء من الخلط أو الضلال ... وهذا كلام كبير على كتاب صغير لن يبلغ نجاحه مهما بلغ إلا أن يضىء جزئيات قليلة تعد على أصابع اليد الواحدة ، ولكنى مع هذا آمل أن تجد الشمعة من يحملها .

يعرض هذا الكتاب صورة من أروع ما خطه قلم فى العصر الحديث ، هى تلك العبارات التى وصف بها الأستاذ أحمد امين الفروق بين شخصيته وبين شخصية صديقه الدكتور طه حسين ، ومن دون أن يشير فى سطوره إلى أن هذا الصديق هو طه حسين .. لماذا ؟ وكيف ؟ هذا هو موضع ذلك الفصل

وأما الفصل الذى عن الاستاذ العظيم **العقاد** ، فقد كتبته فى أعقاب مسلسل العملاق ، وكان الاصدقاء يبحثون عن العقاد الذى قال فى البرلمان سنة ثلاثين ما قال ، وكنت أقول إن هذا مفخرة للحاكم قبل أن يكون للكاتب ، ولو أن الحاكم لم يكمل سيرته الصالحة ، فكانوا يقولون : ولكن العقاد كان هكذا دائماً ، وكنت أقول : لا ، وهذا هو الدليل من سنة ١٩٥٠ .

وأما مقال الدكتور زكى مبارك فى تحدى المجمع اللغوى فليس نشازا فى نتاجه ، ولكنه مثل حى معبر من هذا الانتاج . ولعل من أبدع ما كتب فى السير **الذاتية** ، تلك التلقائية العفوية التى روى بها الاستاذ **عبد الحميد جوده السحار** أديب السينما **قصة حب** تركه ، وزواج اندفع إليه .

وأما المقال الذى عن صحافة القصة القصيرة ، فقد كتبته من غير عنوان ولا مراجعة للزملاء فى نادى القصة بالزقازيق ، فوضع له الزميل أسامة عزت هذا العنوان ، والعناوين الجانبية ، ولم أشأ أن أمحوَ فضلاً لذى فضل .

وأما المقال الذى عن حكمة استاذنا الكبير توفيق الحكيم ، فهو أقرب من أن أقدمه لك ،

دكتور محمد الجوادى
ص. ب. ١٧٧ الأورمان

سر حكمة الأستاذ توفيق !

قد يكون من أسرار حكمة الأستاذ توفيق الحكيم أنه كان ولم تكن في اعتزازه بنفسه تلك الصفات التى قد ينظر إليها على أنها عيوب بارزة ، كالتى كانت فى الأستاذين الكبيرين طه حسين وعباس العقاد ، وخير ما يصور لك هذه المسألة ، هو ما رواه الأستاذ يوسف السباعى من سنحات أفكاره حين أخذ يبحث عمن يقدم له روايته الأولى ، قال الأستاذ السباعى إنه خشى أن يكتب أحدهما المقدمة عن نفسه ، وأن يكتب الآخر المقدمة فى نصف حجم الرواية ذاتها !! ولهذا كان الأستاذ الحكيم هو الذى قدم له .

ولكن الذى لا شك فيه أن ذلك كان نتيجة تطبع من الأستاذ الحكيم ، أكثر منه طبعاً فيه ، والأستاذ أنيس منصور فيما بعد وفاة العقاد وطه حسين بزمن طويل كتب يقول إنه جمع بين الثلاثة على خط تلفونى واحد بحيث يسمع بعضهم بعضاً ، وهم يتحدثون عن بعضهم بآراء صريحة ، وكان الحكيم يرى نفسه أنه القمة بين الثلاثة ، لأنه يمثل الإبداع .. مع اعترافه بالدورين الكبيرين لزميليه الكبيرين ، وفى مقال طويل نشره الأستاذ صلاح منتصر فى الأهرام منذ شهور ، واتخذ له عنواناً « قالت لى نوتة الحكيم » ما يتفق وهذا المعنى .

إذن فتوفيق الحكيم يتطبع ، وهو فى تطبعه أحياناً ما يصقل شخصيته نحو القيم العليا ، ولكنه فى نفس الوقت كثيراً أيضاً ما يطبعها بما يسعد الناس (كتاباً عنه أو قراء له) أن يعرفوه عنه وأن يصفوه به .. وأستطيع أن أقول إنه كان أكرم من عرفت من الأدباء وقد شرفت بمعرفة كثيرين جداً ، ولكنه كان يتصنع البخل ، وأنه كان أكثر الناس اهتماماً بالسياسة الوطنية وأمورها ، فى كل عهودها ولكنه تصنع أنه لا يهتم أبداً ، وكان على نحو ما فصل فى ذلك القول والبحث الأستاذ صلاح عبد الصبور فى كتابه « ماذا يبقى من هؤلاء ؟ » الوحيد بين أدبائنا الكبار الذى لم ينضم للأحزاب أبداً ، وظن الناس لعهد طويل أن ليس لرجل الفن أو (راهب الفكر) بالسياسة علاقة حتى فزعوا حين وجدوه فى عودة الوعى يكتب فى السياسة ، فيكتب بالرمز ، ولكنه الرمز الواضح لا الرمز الغامض ، ثم جاء كتابه « الحمير » فكان خير مثال للرمز الصارخ لا الواضح فحسب ، وحسب الناس أنها نزوة ، وأخطأ كثيرون حين جعلوه عنصراً من عناصر حملة ، مع أنه لم يكن أبداً عنصراً ، وفات علينا جميعاً أن المسألة لم تكن إلا كما قال زهير ، ومهما يكن عند امرىء من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم

واستقر فى الأذهان أنه عدو المرأة ، على حين ظل الرجل دائماً على خلاف ذلك ، عطف بالغ وحنان أبلغ ، والذين أتيح لهم أن يعرفوه فى حياته الاجتماعية أو فى حياته الخاصه عن بعد قريب نوعاً ما ، يستطعون أن يأكدوا للناس أنه لم يكن أبداً ذلك العدو .

وغير هذا كثير .. إنما يعنينا من هذا كله أنه كان من الذكاء بحيث لا يضيع وقته ، ولا جهده فى نفى ما أذيع عنه ، حتى وإن آذاه فى قرارة نفسه ، ولكنه كان يستطيع دائماً أن يكبح نفسه ، وأن يلتقط الخيط من هذه الخيوط فيرسم به حول شخصيته وصورتها عند النابى أبعاداً جديدة ، وأن يكيف من هذه الأبعاد ما يضيف به إلى مجده ، وفى هذا النوع من التطبع الظاهرى نجح توفيق الحكيم بنفس القدر الذى نجح فيه فى تطويع الأحداث للشخصيات ، والشخصيات للأفكار ، والأفكار للنزعات فى أدبه ذى المستوى الرفيع .

ثم إن الأستاذ توفيق الحكيم نجا من ذلك الخلق الذى قد يصيب المرء إذا طالت أستاذيته ، وامتد به الزمن فى التدريس ، حين ينشأ فى عقليته نوع من الخمول الذهنى الذى يكون من أسبابه أنه دائما يعيد ما قال وأنه كثيراً ما يبدأ من الأول لأن تلامذته جداد جداً عليه !! وهنا ينشأ التكرار أو الاطناب أو التبسيط حين لا يكون له داع ، والتمثيل الذى يكون مختلاً إذا ما حاولت النظر إليه لأكثر من دقيقة وصحيح أن الانسان لا بد أن يكرر فى كثير من الأحيان ، ولكن توفيق الحكيم على كل حال نجا من هذا الخلق .. ولا نطلق القول ، فقد جاء زمن أصاب الجمهور فيه قدر عظيم جداً من الغباء امتد حتى أثر على اقلام كتابهم الكبار وعلى قلم الحكيم نفسه ، فأخد يفتح كتبه القديمة ويؤشر على عبارات منها قالها منذ أربعين عاما ، ولا يزال لها داعيها ، ورونقها فى هذه الأيام باكثر مما كان لها يومها ، ونشرها على الناس !

وكذلك نجا الأستاذ توفيق الحكيم من خلق العجلة تدفعه إليه المقالات الموقوتة المسلسلة ينتظرها الناس ، وقد يتصور البعض أنه بهذا لم ينل ما يناله الذين يصنعون الأحداث ، ويصوغون الأراء في وقتها ، وهذا قد يكون صحيحا إلى حد ما ، ولكن الأستاذ توفيق الحكيم كان يفضل النار الهادئة ؛ ولهذا كان زاده الذى ترك للناس فى أغلب أحواله دسم ولكنه مع ذلك غير عسير الهضم .

كان الأستاذ توفيق الحكيم يسخر ذات مرة من هؤلاء المصورين الذين يأتون إليه ، ويقولون له : ابتسم ، أو حرك وجهك هكذا حتى تكون الصورة طبيعية .. وكان يقول لى : كيف تكون طبيعية بعدما وجهوا هذا التوجيه ؟؟ ولكن من أسرار عظمة أدب توفيق الحكيم أنه وجه ما شاء الله له أن يوجهه ولكن أحداً من قراءه ولا نقاده قال عنه يوماً ما قاله هو عن مصوريه !! .

قد يكون فى هذا دلالة على صدق قولهم إن الفن ألا يظهر الفن ، ولكننا نستطيع أن نقول إن توفيق الحكيم كان كذلك ، فقد كان فنه فى كثير من الأحيان يظهر الفن ، ولكن على النحو الذى يظهره على أنه طبيعة أو مصادفة أو محض تفكير عابر .. وهذه الخصلة قد لا ترضى كثيرين من الذين تعبوا فى انتاجهم وصوغه ، أو الذين يعتزون بأقلامهم وقدراتهم ، ولكن الذين كان من طبعهم الفن الأصيل لا يجدون حرجاً أبداً فى أن ينزلوا عن معنى الإبداع وحقوقه ، من أجل أن تتركز الأنظار على الإبداع نفسه .. وقد يطلق النقاد على هذه الخصلة اسماً من أسماء معانى التواضع .. ولكن الأحرى أن نجعلها من التطبيقات العملية لخلق التطبع .

القاهرة — مايو ١٩٨٤

بين عميدين

قال الأستاذ أحمد أمين في كتابه « حياتى » بعدما تعرض للحديث عن الفترة التى قضاها عميداً لكلية الآدب « وكانت مأساة العمادة أنى فقدت بها صداقة صديق من أعز الأصدقاء وما أقل عددهم . كان يحبنى وأحبه ، ويقدرنى وأقدره ، ويطلعنى على أخص أسراره وأطلعه ، وأعرف حركاته وسكناته ويعرفها عنى ، ويشاركنى فى سرورى وأحزانى وأشاركه ، وكنت هواه وكان هواى ، واستفدت من مصادقته كثيراً من معارفه وفنه ووجهات نظره ، سواء وافقته أو خالفته ، فأصبح يكون جزءاً من نفسى ويملأ جانباً من تفكيرى ومشارعى ، على اختلاف ما بيننا من مزاج » .

ويمضى أحمد أمين يقارن بين مزاجه ومزاج صاحبه فيقول : « فهو أقرب إلى المثالية ، وأنا أقرب إلى الواقعية ، وهو فنان يحكمه الفن ، وأنا عالم يحكمه المنطق ، وهو يحب المجد ويحب الدوى ، وأنا أحب الاختفاء وأحب الهدوء ، وهو مغال إذا أحب أو كره ، وأنا معتدل إذا احببت أو كرهت ، وهو نشيط فى الحكم على الأشخاص وعلى الأشياء وأنا بطىء ، وهو عنيف إذا صادق أو عادى ، وأنا هادىء إذا صادقت أو عاديت ، وهو واسع النفس أمام الأحداث ، وأنا قلق مضطرب غضوب ضيق النفس بها ، وهو ماهر فى الحديث إلى الناس فيجذب الكثير ، وليست عندى هذه المقدرة فلا اجتذب إلا القليل ، وهو فى الحياة مقامر يكسب الكثير فى لعبة ويخسره فى لعبة ،

وأنا تاجر إن كسبت كسبت قليلاً فى بطء ، وإن خسرت خسرت قليلاً فى بطء ، يحب السياسة لأنها ميدان المقامرة وأنا لا أحبها إذ لا أحب المقامرة » .

ويلتفت أحمد أمين ليقرر أن هذا الاختلاف فى المزاج كان نعمة ثم صيرته العمادة نقمة : « ولعل هذا الخلاف بيننا فى المزاج هو الذى ألف بيننا ، فأشعره أنه يكمل لى نقصه وأشعرنى أنى أكمل به نقصى ، جاءت العمادة مفسدة لهذه الصداقة ، لأنه بحكم طبيعته أراد أن يسيطر ، وأنا بحكم طبيعتى أردت أن أعمل ما أرى لأنى مسئول عما أعمل » ثم دخل الخلاف مرحلة متقدمة : « ثم ولى منصباً أكبر من منصبى يستطيع منه أن يسيطر على عملى ، فأراد السيطرة وأبيتها ، وأراد أن يحقق نفسه بأن ينال من نفسى ، فأبيت إلا أن احتفظ بنفسى ، فكان من ذلك كله صراع أصيبت منه الصداقة ، فحزن لما أصابها وحزنت ، وبكى عليها وبكيت » .

وقال الدكتور لويس عوض فى مقال له عن « طه حسين الوزير » أعاد نشره فى كتابه « الحرية ونقد الحرية » : « عدت إلى مصر فى أغسطس عام ١٩٤٠ وقضيت مع أهلى بالمنيا أكثر سبتمبر انتظاراً لبدء العام الجامعى لكى « أقدم » نفسى لكليتى حتى تحدد لى نوع العمل الذى أقوم به ، وكان العميد يومئذ أحمد أمين ، فسلمت عليه ثم خرجت من مكتبه بتوجيه إلى قسم اللغة الإنجليزية الذى كان يرأسه

أستاذى السابق كريستوفر سكيف ، لمقابلة رئيس القسم الذى أوفدنى إلى الخارج بقصد عرض خدماتى عليه ، وما أن رآنى سكيف حتى امتقع وجهه بغضب مكظوم أنساه أن يرحب بى وقال : « لماذا عدت ؟ لماذا قطعت بعثتك ؟ » وحاولت أن أشرح له أنى لم أكن وحدى فى ذلك ، فقد كان معى قرابة مائتى مصرى عادوا جميعاً من انجلترا لأن حرب هتلر الخاطفة ، أو على الأصح قنابل سلاح طيرانه ، جعلت من انجلترا مكاناً غير مريح للبحث العلمى ، فقد كان نصف أيامنا فى المخابىء بعد سقوط فرنسا ، وتمالك سكيف نفسه وقال : ماذا تنوى الآن أن تفعل ؟ فسألت : هل لى جدول فى القسم ؟ فأجاب : لا ، ولكن إذا وافقت على أن تدرس فى فؤاد الأول الثانوية ، يمكنك أن تبدأ غداً ، قلت : أنا لا اتأفف من التدريس فى المدارس الثانوية ، ولكنى أخشى أن كثرة أعبائه ستلهينى عن البحث العلمى ، ولم يحر سكيف جواباً ، وانتهت المقابلة ، وعدت إلى عميدى أحمد أمين لأبلغه بقرار رئيس قسم اللغة الإنجليزية فحدجنى بنظرة عطف ولكنه لم يعلق بشىء ، وخرجت آسفاً أن تنتهى الأمور إلى هذا الحد . الجامعة توفدنى ثلاث سنوات إلى كامبريدج للبحث الأكاديمى ، فيراد لى أن أدرس فى المدارس الثانوية » .

ثم يستطرد الدكتور لويس عوض فى الحديث ممهداً لما يرويه من لقائه بالدكتور طه حسين وينتهى إلى قوله : « وأياً كان الأمر فقد خرجت من مكتب عميدى أحمد أمين من كلية الآداب إلى مكتب أستاذى طه حسين فى وزارة المعارف (لاحظ هنا تعبير الدكتور لويس

عن أحمد أمين بالعميد ، وعن طه حسين بالأستاذ . مع ما أثر عن أحمد أمين من قوله إنه اكبر من عميد وأصغر من أستاذ) لمجرد السلام والتحية ، فى ذلك الصباح الغريب ذات يوم فى أوائل اكتوبر عام ١٩٤٠ ، وحين دخلت عليه بادرنى بالسؤال : متى وصلت وماذا تفعل الآن ؟ فشرحت له فى اقتضاب ما كان من أمر زيارتى للأستاذ سكيف ولأستاذنا أحمد أمين . فالتفت طه حسين إلى سكرتيره وقال : « هات لى أحمد أمين » ، وطلب فريد شحاته سكرتير طه حسين ، أحمد أمين فى التليفون ، وإذا بى أسمع طه حسين يقول لأحمد أمين فى هدوء : « قل لسكيف يبطل لعب ، ويعطى لويس عوض ، جدولاً فى قسم اللغة الإنجليزية » ثم وضع السماعة دون أن يزيد كلمة واحدة . و دقَّ قلبى لأنى أحسست أنى مقبل على عاصفة . ثم التفت إلىَّ طه حسين وقال : « روح دلوقتى لأحمد أمين . دلوقتى » . هكذا : جملة واحدة لا زيادة ! بلا استفسار ولا استشارة ! وفى هدوء ! ورسالة موجزة يحملها العميد إلى استاذ ! ووضع السماعة دون أن يزيد !! .

قال الدكتور لويس « وكانت الساعة قد بلغت الواحدة ، فانصرفت من عند طه حسين على عجل ، وركبت تاكسى إلى كلية الآداب ، ودخلت على أحمد أمين للمرة الثانية فقال لى مبتسماً « اذهب إلى سكيف وخذ جدولك » وانطلقت إلى قسم اللغة الإنجليزية . وأدركت عندئذ أن طه حسين كان لا يزال يحكم كلية الآداب من مكتبه كمراقب للثقافة فى وزارة المعارف » .

ومن البحث فى التاريخ يتضح لنا أن الدكتور أحمد أمين عمل عميداً للآداب (٤/٣٩ - ١٩٤١) . وأن الدكتور طه حسين كان فى هذه الفترة بعد أن خلفه أحمد أمين فى العمادة قد انتدب مراقباً للثقافة فى وزارة المعارف . وحتى فبراير ١٩٤٢ حيث عين مستشاراً فنياً للوزارة . فهل يا ترى هل كان الصديق الذى فقده أحمد أمين هو طه حسين ؟ الذى رشحه للعمل بالجامعة عند افتتاحها وشاركه العمل فيها وفى لجنة التأليف والترجمة والنشر ، وفى التأريخ لعصور الإسلام بنواحيها المختلفة فى برنامج مخطط قطع فيه كلاهما أشوطاً واسعة ، أم أن الصديق الذى فقده أحمد أمين كان طه حسين ؟ .

رأس البر — أغسطس ١٩٨١

وجهان لعملة واحدة

شاهد الناس فى مسلسل العملاق الأستاذ العقاد وهو يهاجم الملك فى البرلمان فيذهب إلى السجن ليقضى فيه تسعة شهور هى أعظم ما فى تاريخه الوطنى .

كان هذا سنة ثلاثين والملك هو فؤاد ، فماذا كان من العقاد سنة خمسين والملك هو فاروق الأول والأخير ! هذا هو ما سنقرأه فى الفقرات التالية من المقال الإنفتاحى لمجلة الهلال (فبراير ١٩٥٠) فى مناسبة بلوغ الفاروق سن الثلاثين ، والمقال للأستاذ العقاد تحت عنوان « الملك يبلغ الثلاثين » وتحتها بلور العقاد خلاصة ثلاث صفحات هى كل مقالة فى جملتين غريبتين احتلتا السطر الأول :

« بلغ الفاروق الثلاثين ، وبلغت مصر الثلاثين بعد هذا الميلاد الجديد » .

نعم فى هذا السطر خلاصة فكرة العقاد فى مقالة ومن مقاله .

يبدأ الأستاذ العقاد مقاله بإثبات أن الأمة المصرية قد ولدت من جديد حين ولد الفاروق ، فلا يرجع هذا إلى ثورتها (١٩١٩) ولا إلى شعبها ، وإنما يرجعه إلى التوافق السعيد !! استمع إليه أو انظر إلى وجهته فى تقدير عظمة الأمم ومقارنته بين حال مصر سنتى ١٩٢٠ ، ١٩٥٠ حين يقول : « صف الأولى وصف الثانية ، تجد أنهما أمة جاءت بعد أمة ، وأنهما فى التعريف بهما لا يصدق عليهما وصف واحد بل وصفان . فهما أمة جاءت بعد أمة فى تاريخ الميلاد » لعمرى أية فكرة عميقة من أفكار الأستاذ العظيم فى هذا الدوران حول معنى

لا وجود له ؟!

ويقارن الأستاذ بين الأمتين فيقول : « أمة يبلغ تعدادها اثنى عشر مليوناً ويبلغ إيراد حكومتها ١٦ مليوناً ، وعلى حكومتها دين يقدر بمائة مليون جنيه وعلى آحادها ضعف هذا المبلغ من ديون المصارف الأجنبية . لا يزيد عدد القارئين فيها على ٧ ٪ وليس فيها غير جامعة دينية واحدة . وجيشها يقارب عشرة آلاف من المشاة والفرسان ... الخ . وهذه هي أمة ١٩٢٠ عنده ، أما أمة ١٩٥٠ « فيبلغ تعدادها ١٩ مليوناً وإيراد حكومتها ٢٠٠ مليون جنيه ، ولها ديون على بريطانيا العظمى يتفاوت تقديرها بين ٣٠٠ إلى ٤٠٠ مليون جنيه وليس عليها ديون لأحد ... يزيد عدد القارئين فيها على ٢٥ ٪ ... » وينتقل الأستاذ العقاد بعدما عقد المقارنة ليقول : « أهي تلك الأمة التي عرفناها في صفتها الأولى ؟ إن قلت هي فقل إنها ولدت ميلاداً جديداً كاد أن يجعلها أمة أخرى ، وكاد السامع لوصفها أن يحسبها أمتين اثنتين لا تتقاربان في صفة من الصفات إلا في التاريخ ... ولدت هذه الأمة قبل ثلاثين سنة ، وولد معها مليكها الفاروق . فهما ندان مقترنان ، عاماً فعام . وخطوة فخطوة . وأملاً مع أمل ، وفلاحاً مع فلاح » .

« نما الفاروق ونمت مصر كأنهما كانا على موعد في صحيفة الأقدار .. واستمع إليها أول ما سمع من دعائها فإذا هو هتاف باسم الحرية ونداء بحقوق الكرامة الوطنية .. **فحقق الله على يديه دعائها**

واستجاب ندائها .. فلم ينتقل فى مراحل عمره المديد مرحلة كبيرة أو صغيرة إلا اقترنت بها مرحلة مثلها فى تاريخ البلاد . وهكذا بلغ الفاروق الثلاثين .. أو هكذا بلغت مصر الثلاثين بعد هذا الميلاد الجديد » .

ويستعرض الأستاذ العقاد بعد ذلك الحوادث الكبرى التى جرت فى العالم خلال هذه الثلاثين عاماً كأنما كان للفاروق أيضاً يد فيها !! بل هو ما يلمح إليه الأستاذ العقاد بطريق غير مباشر حين يقول فى ختام فقرته تلك التى استعرض فيها الحوادث العالمية : « وأصحاب العروش أقدر الناس على استخلاص هذه العظات عن كثب ، واستطلاعهم هذه الأسرار بغير حجاب فالسنون الثلاثون عندهم تاريخ كتاريخ بنى الإنسان منذ أقدم العصور . تعطيهم كل ما أرادوا أن يأخذوه من حنكة الزمن وغرائب الصروف وطوارىء الأحداث » بالطبع كانت لفاروقنا العظيم هذه الصفات بأستاذنا العظيم !!

ويمضى الأستاذ العقاد ليعبر عن الحقائق بالوجهة التى تناسب المقام وإن تعارضت مع مفاهيمه الذاتية فى كثير من الأمور حيث يقول « ويشاء الله تعميماً لهذه المشيئة أن يحيط بافقنا القريب عالم يتجدد ويتقدم ، كما أحاط بنا فى آفاق الكرة الأرضية الواسعة عالم يتناوله التجديد فى كل شىء ، ولا ينقضى عليه عام وهو على حال واحد . تغيرت عناوين الأمم العربية وتغيرت أطوارها . ففى سنة ١٩٢٠ كانت تنطوى جميعا فى عنوان واحد يسمى السلطنه العثمانيه (بهذه البساطه يأستاذ !!) فأصبح لكل أمة عنوانها تعرف به بين الأمم ، وآمنت بوجودها فآمن به القريبون منها فالبعيدون عنها ، ولا تزال ترجو الخير ويرجى لها الخير فى مستقبل غير بعيد !!

وهى لا تخلو من متاعبها ومخاوفها ، ولكنها متاعب النمو التى تعرض لكل بنية حية كأنها ضريبة من ضرائب النمو والزيادة ، فإن الطبيعة لا تقضى الأمم من هذه الضريبة المفروضة على الأحياء .. وهى التى تطلب من الطفل الرضيع ضريبة الفطام ، ومن الصبى اليافع البالغ ضريبة النضج ، ومن الفتى الناشىء ضريبة التجربة والكفاح .

وفى النهاية فإن العملاق لا يسعه إلا أن يكرر المعانى السامية التى انطوى عليها مقاله فيقول « منذ ثلاثين سنة ولد عالم ، وولدت أمة ، وولد ملك فى هذه الأمة .. منذ ثلاثين ولد العالم الذى يتوحد عاماً بعد عام ، وولدت مصر الحديثة التى تتقدم وتتجدد عاماً بعد عام . وولد الفاروق الذى نتبين بأعوامه يمن الطالع وحسن المسعى وبشائر المستقبل المجيد .

وفى ضمير الغد (!!) للملك الموفق والأمة الناهضة . آمال فوق آمال ومجال أرحب وأرغد من هذا المجال » .

وبعد فهل دفع العقاد إلى مقاله هذا إيمانه بالفاروق ؟ أم إيمانه بالملكية ؟ أم إيمانه بالعيد الثلاثين للأمة المصرية ؟ أم موقف حزبى وهو يومئذ خارج الحكم ويكاد يكون خارج المعارضة ؟ أم طمع فى رتبة من الرتب التى تمنح فى عيد الميلاد السعيد ؟ أم الدعوة إلى مصالحة بين الشعب وملكيه على نحو المصالحة التى أتمها صاحب المقام الرفيع النحاس باشا قبلها بأيام معدودات حين طلب إلى الملك السماح له بتقبيل يده ؟ أى هذه الدوافع الستة ؟ الله اعلم بمراده .

الزقازيق — مايو ١٩٨١

عندما تحدى زكى مبارك المجمع اللغوى !

إذا أردت أن تأخذ صورة حقيقة عن زكى مبارك فاقرأ هذا المقال .

فقد كان الرجل صاحب الألقاب العلمية وصاحب السبق إليها معتزاً بنفسه ، ولكنه كان فى الوقت نفسه يحن إلى التقدير .. ولعل فى هذا سر ذهابه يوماً بعد يوم يبتغى الحصول على ألقاب وشهادات علمية أخرى ، حتى صار له ما لم يكن لأحد من قبله ولا بعده .

ولكنه فى اعتزازه بنفسه كان يفوق الحدود ، حتى لم يدع مجالاً لغيره ليقدر له فضله بعدما قدره هو ، ولعل فى هذا سراً غاب عن زكى مبارك الذى لم يفتأ يستنكر على الناس إهمالهم شأنه .

وقد تكون هذه العناصر الثلاثة هى المكونات النفسية لشخصية زكى مبارك فى اختصار شديد وشمول شديد .

وها هو زكى مبارك يتقدم بديوانه ألحان الخلود لينال جائزة المجمع اللغوى فلا ينيله المجمع الجائزة ، فيكتب صاحبنا هذا المقال فى مسامرات الجيب (٢٢/١/١٩٥٠) وتصوره مسامرات الجيب فى وسط المقال بالصورة التى اشتهر بها وهى صورة الملاكم « الأدبى » .

يبدأ الدكتور زكى مبارك مقاله بقوله « يسألوننى لماذا لم يمنحنى المجمع اللغوى الجائزة الشعرية على ديوان « ألحان الخلود » « ويجيب

مباشرة » وجوابى أن هذا دليل جديد على بعد المجمع اللغوى عن مسايرة الحياة الأدبية » .

وينتقل الدكتور زكى مبارك ليفصل رأيه هذا فيقول « فقد كان المظنون أن رئيس المجمع وأعضاءه يشترون بأنفسهم الدفاتر الأدبية الجديدة ليعرفوا كيف تنتقل حياة الأدب من حال إلى أحوال .. ولكنهم مع الأسف فى معزل عن فهم هذه الحقيقة الجوهرية .. ! »

وبعد هذا الجانب النظرى من الموضوع ، والذى يكتفى أغلبية الكتاب بالوقوف عنده إذا ما تناولوا مثل هذه الموضوعات يمضى الدكتور زكى مبارك بطبعه المختلف عن طبع الناس وأخلاق الكتاب ، يمضى بصراحته الشديدة التى لا تقف عند حد وإنما قد تجرح وتحرج وتسبب بهذا إيلاماً شديداً لا يزال بالمتألم يحثه على الانتقام لما أحسه من الكلمات لزكى مبارك !! وكان رئيس المجمع يومها لطفى السيد ، وهو كاتب لم يُعرف بالشعر ، هنا يغمز زكى مبارك فيقول « وأنا ما فكرت فى إهداء نسخة من ديوان ألحان الخلود إلى رئيس المجمع اللغوى لأننى أيقنت أنها هدية ضائعة لأن فخامة الرئيس لم ينظم فى حياته بيتاً من الشعر حتى يدرك قيمة الديوان » ثم يردف زكى مبارك بعبارة لا تزال غامضة على حين يقول ولأن من أعضاء المجمع أشخاصاً من سلالة الرسول ، والله عز شأنه قال فى رسوله الكريم : — وما علمناه الشعر وما ينبغى له » .

ثم يأخذ زكى مبارك فى مهاجمة الأعضاء زرافات ووحداناً فيقول فى شأن العقاد « ولأن فى المجمع عضواً يزعم أنه شاعر وما هو بشاعر وهو الشيخ عباس محمود العقاد » ويكتفى زكى مبارك بهذا فى العقاد ليتركه إلى الأموات فيقول « ولو كان الأستاذ على الجارم حياً لكان من المستحيل أن ينصفنى لأننى هجوته فى مجلة الرسالة » هكذا يجعل زكى مبارك أسباب عدم التقدير مختلفة .. وهكذا يتبين لنا من حكمه تقديراً لشعر الجارم فى حين أن شعر العقاد ليس بشعر ! .

وينتقل زكى مبارك فى نفس الخط ليقول « ولا موجب للقول بأن بين أعضاء المجتمع أشخاصاً لا يفهمون من الشعر شيئاً .. أمثال فضيلة الشيخ حمروش عميد اللغة العربية بالأزهر والحاخام ناحوم الذى لا يفهم العربية إلا بصعوبة .. ! » « وفى المجمع اللغوى أيضاً مستشرقون لا يمكنهم أن يدعوا العلم بأسرار الشعر العربى لأنه بعيد عن أفهامهم كل البعد » . هكذا بدون تفصيل .

ولكن زكى مبارك لا يمضى فى الطريق إلى نهايته وإنما يقرر أن هناك واحداً فقط من أعضاء المجمع فى وسعه الحكم فى قيمة ديوان ألحان الخلود لزكى مبارك .. وهو صاحب المعالى الشيخ محمد رضا الشبيبى فهو « من أكابر شعراء العراق » ولكنه لا يقيم فى مصر غير أسابيع ثم يقفل راجعاً إلى بغداد ، فليس هناك أمل فى أن تتاح له الفرصة ليحكم لديوان ألحان الخلود . وهكذا تجد فى كلمات زكى مبارك هنا – كما تجد دائماً – حنيناً وشوقاً إلى العراق وأهل العراق ، وكيف لا وقد وجد حظه عندهم بعد ما يأس من التقدير فى مصر ، ثم عاد من العراق ليبيأس من التقدير ويموت بعد هذا المقال بقليل .

هذا هو الجزء الأول من مقال زكى مبارك تحدث فيه عن « الناس » أو عن « الغير » الذين لم يحظوا بتقديره لأنهم لم يعطوه تقديرهم .. ولكن هناك جزءاً آخر هو قاسم مشترك فى مقالات زكى مبارك .. هو الحديث عن « النفس » وعن « الذات » التى تعطيه تقديرها وتحظى بتقديره وهذا هو جوهر رأى زكى مبارك فى نفسه وذاته ، يقول الأستاذ الكبير « وأنا غير مهتم لجائزة المجمع اللغوى ! « هكذا على نفس طريقته فى وضع التقرير فى صدر الكلام ثم يردف بالسبب » لأن المجمع اللغوى كله لا يفهم دكتوراً مثل زكى مبارك .. ولو كان فى مصر عدل لكنت أنا أحد أعضائه ولكن العدل فى مصر ذهب ولن يعود » .

ثم يتراجع بعض الشىء وما هو بتراجع وإنما هو ضرورة يعرفها الكتاب حين يكرهون أن تطول منهم الجملة ، يتراجع فيقول « وأنا أقصد العدل فى الحياة الأدبية » ويقرر بعد هذا مباشرة أنه لو كان فى مصر عدل « لكنت أنا وزيراً للمعارف » . ما هى المناسبة هنا فى هذا المنصب بالذات وأمام زكى مبارك كل المناصب يستطيع أن يزعم لنفسه الأحقية فيها .. الجواب سهل إذا ما أخذنا فى الأعتبار الملابسات التاريخية فقد اختير طه حسين قبلها بأيام معدودات لوزارة المعارف وقد كان الدكتور طه هو غريمه ! .

ويسرد زكى مبارك الحيثيات التى تؤهله لتولى الوزارة : « فألقابى العلمية لم يظفر بها أحد وزراء المعارف ! ومؤلفاتى زادت على

الأربعين مجلداً . وهو محصول أقذى عيوني تحت أضواء باريس وجبت من أجله الأرض من بغداد إلى سنتريس إلى باريس » لاحظ السجع بين باريس وسنتريس موطن زكى مبارك التى أصبحت به – عنده – خير بقاع الأرض .

كنت أحب أن يفهم أعضاء المجمع أننى ظفرت بالدكتوراه من جامعة باريس وأنني كنت أول من ظفر بدبلوم الدراسات العليا فى الآداب من مدرسة اللغات الشرقية فى باريس .. وأنى كنت أول من ظفر بالليسانس فى العلوم الأدبية والفلسفية من الجامعة المصرية وأنى أول دكتور فى الفلسفة من جامعة فؤاد الأول سنة ١٩٣٧ » .

هذا عن ألقابه ، أما عن خدماته « فإنى قضيت عشرين سنةً فى التدريس منها أربع سنين فى الجامعة المصرية وأنى قضيت سبع سنين فى التفتيش وأنى ظفرت بوسام الأكاديمية الفرنسية بفضل ما صنعت من نشر الثقافة الفرنسية فى مصر .. وأنى أيضاً أول من ظفر بوسام الرافدين من الدولة العراقية وهو وسام لم يظفر به أحد ممن خدموا بالتعليم فى العراق سوائً ! .

ولا بأس عند زكى مبارك أن يقارن الناس بنفسه دون ذنب جناه الناس إلا أنهم خدموا مثله فلم يحظوا بمثل التقدير الذى حظى به « فهل ظفر بهذا الوسام الأستاذ محمود عزمى ؟ أو السنهورى باشا ؟ » ومع هذا المجد كله لا يهمنى أن يتغاضى عنى المجمع اللغوى .

وبعد كل هذا الاعتزاز يقول الدكتور زكى مبارك : « ويعيب قوم عليَّ أننى اعتز بنفسى .. وهذا من حقى » حتى هذا العيب الظاهر فيه لا يدعه دون أن يجعل منه مزية ، أو أن يحيله إلى سببه وهو اعتزازه بنفسه .

« لأننى بنيت مجدى بنفسى فقد تعلمت فى باريس على حسابى ، وأنجبت أدباء فضلاء منهم الدكتور محمد هاشم والدكتور محمد مندور وفؤاد باشا سراج الدين .. ومن حقى أيضاً أن أعتز بأننى طالب فى جامعة فاروق الأول بالأسكندرية .. خير القارات فى نظرى هى آسيا التى نبغ فيها غاندى وطاغور شاعر الهند .. ولكنى أرى افريقيا أضخم وأعظم لأن فيها مصر ولأن فى مصر المنوفية ولأن فى المنوفية « سنتريس » ولأن فى سنتريس منزل مبارك وهو منزل تفضل بزيارته خمسة وزراء » .

ترى هل أدرك القارىء الآن لماذا لم نفصِّل القول فى مسألة سنتريس وباريس عندما عرضناها منذ دقائق .. وترى هل يجد القارىء شيئاً من الاستغراب لسرور زكى مبارك ، وفخره ، بزيارات الوزراء الخمسة !! .

أما الفقرة الأخيرة من مقال الدكتور زكى مبارك فسننقلها كما هى دون تعليقات تفسد على القارىء متعته الكاملة بالدكاترة زكى مبارك وكفانا أنا لم ندع فقرة من فقرات الرجل من دون تعليق ، يختم الدكاترة زكى مبارك مقاله بقوله : « ونعود فنتحرى .. ! هل للمجمع اللغوى ان ينازلنى فى ميدان المجد والفخار ؟ هل لأحد من أعضائه أن

يصاولني في الشعر والأدب ؟ . بالطبع لا .. ! انه لا يملك شيئاً من هذه المحامد . فليس له وجود إلا في الخيال وأنا الدكاترة زكي مبارك صاحب أعظم وأفخم وأمجد ديوان شعري .. ولو كره اللغويون » .

وأما مسامرات الجيب التي نشرت لزكي مبارك مقاله هذا فقد أردفت تعلق عليه في ذيله : « يبدو أن الدكتور الجهنمي المذكور أعلاه يستطيع أن يتحدى المجمع اللغوى ولكنه لا يستطيع دخوله لأن باب المجمع يحرسه بواب مفتول العضلات يستطيع أن يبرهن للدكاترة زكي مبارك أن قوته ليست « هرقلية » كما يزعم ! .

ويبقى السؤال : هل كانت قوة زكي مبارك « هرقلية » أم لا ؟ .

مجلة الجديد — ابريل ١٩٨١

كيف تزوج أديب السينما !

فى قصة قصيرة بعنوان « لو عرف السبب » فى المجموعة القصصية « فى الوظيفة » لعبد الحميد جودة السحار أديب السينما المصرية الشهير كان همت بك وهو مدير كبير يبحث لابنته التى ماتت أمها عن زوج من بين مرؤسيه الموظفين وبالطبع كان الموظف يومها خير من يتمنى للأبنة — وفيما كان همت بك يحادث واحداً من هؤلاء الذين وضع عليهم العين وهو « فتحى » بعدما قربه إليه ودعاه إلى بيته ،

وتبسط فجلس معه ، « وفى يوم تناول فتحى مجلة أسبوعية وأخذ يقلبها . فرأى فتيات بلباس البحر على الشاطىء فالتفت إلى همت بك وقال : « والله إنى لأعجب لأولياء أمور هؤلاء الفتيات كيف يرضى الأب لأبنته أو الزوج لزوجته ، أن تظهر أمام الناس فى مثل هذا اللباس ؟ ما الذى بقى للزوج ليراه مما لم يره الناس ؟ » .

هنا يرد همت بك فيقول : هذا دليل ضعف الآباء والأزواج ، وانفلات زمام زوجاتهم وبناتهم من أيديهم ، إنى حرمت الاسكندرية على نفسى ، حتى لا تقع عين سعاد على مثل هذه المناظر المشينة » .

ترى هل كان هذا الرأى الذى بلوره السحار فى قوله « ما الذى بقى للزوج ليراه مما لم يره الناس ؟ » رأى فتحى أو رأى همت بك ؟ أم رأى عبد الحميد جودة السحار نفسه .. قد تعجب إذا علمت أن هذه الفلسفة التى اقتنع بها السحار أحد كتاب السينما الكبار قد ارتبطت بأكبر الأثر فى حياته ، ولكن كيف كان ذلك ؟ .

جلس السحار ذات يوم يستذكر دورسه بالقرب من شباك مكتبه ، فما أضاء نور شرفته عند دخول الليل حتى أضاء نور فى أعلى شرفته فى البيت المقابل لبيتهم ، فرأى فتاة تعود إلى كرسيها وتتناول كتابها وتعود للقراءة . ولم يكن فى ذلك شيء يشغله أو يعوقه عن مواصلة عمله ، بيد أنه لما أطفأ النور سرعان ما أطفى النور فى الشرفة المقابلة التى كانت الفتاة تقرأ فيها فلفت ذلك انتباهه ولكنه لم يطلق لخياله العنان ، فلما عاد بعد تناوله العشاء وأضاء النور أضى النور ثانية ، واتجهت إلى كرسيها ، وتناولت كتابها « ووقفت أرنو إلى الشرفة طويلاً ، أن ما يحدث الليلة لا يمكن أن يكون مصادفة ، إنها تتعمد أن تجذب بصرى إليها وقد نجحت ، فماذا تريد منى ؟ » .

« وفى الصباح ذهبت إلى شارع فاروق لأستقل الترام إلى العتبة الخضراء فإذا بها واقفة هناك تتلفت ، فلما رأتنى تظاهرت بأنها ترصد مقدم الترام ، كانت فتاة بيضاء البشرة شعرها يميل إلى الصفرة ، لها عينان زرقاوان ، قصيرة القامة ، يميل جسدها إلى الامتلاء ، وترتدى مريلة فى لون سن الفيل ، وقد أسندت حقيبة كتبها على أعلى عجزها فى رشاقة » ، « وسولت نفسى أن أبدأها بالتحية إلا أننى أحجمت » ،

« وجاء الترام فصعدت إلى غرف الحريم ، وتوجهت إلى غرف الدرجة الأولى ، وفى ميدان العتبة الخضراء وقفنا جنباً إلى جنب ننتظر ترام الجيزة المنطلق إلى قصر العينى فلما أقبل رحت أرقبها بطرف عينى فإذا بها تنظر نحوى فى عينين ثابتتين ، فقفزت إلى الترام ، وجعلت أرصد

الطريق لأعرف أين ستهبط ، ونزلت الفتاة عند الشارع الذى يؤدى إلى مدرسة الليسيه ففهم السحار أنها طالبة بهذه المدرسة .

« وفى صبيحة اليوم التالى وقفت فى شباك مكتبى فإذا بها هناك فى شرفتها تمد عينيها إلىَّ ، فلما حملت كتبى وتحركت لأهبط إذا بها تتحرك للهبوط،وتعمد السحار أن يتأخر فى الخروج ، وخرج متأخراً فوجدها لا تزال واقفة بعدما مرَّ عليها ترامان تركتها ووقفت وقد لوت عنقها ترصد الطريق الجانبى الذى سأقدم منه » .

« أرضى ذلك غرورى فخرجت من مكمنى وتقدمت إلى محطة الترام فى ثقة .. إنها تنتظرنى ولا ريب ، فلو بدأتها بالتحية فقد تتظاهر بالخجل ، وتطرق برأسها أو ترد تحيتى بصوت خافت ، ولكنى لم أفعل ووقفنا جنباً إلى جنب » « وركبت الترام وأطلقت لخيالى العنان ، إننى أعرف البداية جيداً ، وطالما مارستها مع فتيات الحى أن أبدأ بالتحية ثم نسير جنباً إلى جنب نتسامر فى أشياء عادية ، ثم تكون ألفة ، ثم لقاء كل يوم . ولكن ما مدى الشوط الذى سأقطعه معها أنا الذى صارت قرة عينى فى الصلاة ؟ » .

وبعد حوالى تسع صفحات من كتابة « هذه حياتى » تتناول أسبوعين من الزمن تقريباً ، حدثنا خلالها السحار عن أمنية جدته فى أن تزوجه لأبنة عمه ، وهى فتاة فى الخامسة عشرة من عمرها أخرجها أبوها من المدرسة ذات يوم وأبقاها فى المنزل لا لشىء إلا لأنها خرجت ذات يوم مع الفتيات اليهوديات من أترابها فى المدرسة الإسرائيلية تشيع

ميتاً يهودياً فلبست اللباس الأبيض وأمسكت بساط الرحمة (مثل أولاد اليهود تمام) . وبعد أن يروى السحار هذه الواقعة فى ختام حديثه عن عمه وأبنة عمه ومحاولات جدته يقرر : « هذا هو عمى الذى تريد جدتى أن أصبح صهره ، وهذه هى أبنة عمى التى يراد لى أن أتزوجها .. وسخرت فى قرارة نفسى من كل المحاولات الساذجة التى كانت تبذل للربط بينى وبينها العمر كله » .

« وخرجت كالعادة فى الصباح لأركب الترام فى طريقى إلى مدرستى فألفيت فتاة الليسيه هناك تتلفت ، إنها ترصد مقدمى ولا ريب . وإذا بخاطر الزواج يطوف بى ، وإذا جوارى على رصيف الترام ، إنها تستطيع أن تقصر علىَّ مشوار الحياة الطويل الشاق ، فسأفهمها وتفهمنى وسيكون هناك بينى وبينها شىء مشترك يخفف ن وطأة قسوة الأيام » هنا قرر السحار أن يكون سلوكه مع فتاة الليسيه سلوكاً لائقاً بفتاة ستصبح زوجته يوماً من الأيام ، فأصبح يتحكم فى أساريره إذا ما لاقاها . حتى كان عائداً فى شارع غمرة يوماً من الأيام فإذا بها أمامه ، وأخذت تخفف من خطواتها ليلحق بها ، ولم يكن فى الطريق سواهما ، ولكنه كتم أنفاسه كل عوامل الإغراء التى عربدت فى جنباته « فقد عزمت على أن لا أقترف أية هفوة قد تعكر فى المستقبل صفو حياتها الزوجية » .

وفى مطلع الصيف « وبينما كنت واقفاً على رصيف الترام أنتظر إذا بفتاة الليسيه تحدث إحدى صويحباتها بصوت عال ، وتقول إنها

ذاهبة إلى سيدى بشر عقب الانتهاء من امتحانها ، ففطنت أن ذلك تبليغ لى وأنها دعوة لألحق بها » ، وأعد السحار عدته للسفر إلى الأسكندرية فلما أصبح فى الاسكندرية وذهب إلى شاطىء سيدى بشر ، وخلع ملابسه ونزل إلى الماء ، « وما أكدت أشق طريقى حتى رأيتها بجسمها الممتلىء السمين كانت تعوم مسافة قليلة ثم تقف منتصبة على قدميها وهى تهلل وتضحك فى فرح أشبه بفرح الأطفال » . « واقتربت منها والتقت عيناى بعينيها ، وقبل أن ألقى عليها التحية وقعت عيناى على صدرها العارى ، إن ثدييها يكادان أن يفرا من عقالهما ، فإذا بالابتسامة التى كادت أن تولد تموت على شفتى ، وإذا باحساس غريب يتملكنى ، أهى الغيرة ؟ ، ربما فالغيرة دليل الحب ! .

« وخرجت من الماء وتناولت منشفة راحت تجفف بها جسمها كان ساقاها متسقتين وكانت أردافها ممتلئة ، وإذا بسؤال يثور فى نفسى : ماذا بقى لى لأراه مما لم يره الناس ؟ » .

ويمضى السحار بعد ذلك ليحدثنا عما دار بعقله من فكر :

فعقله يحاول أن يخفف عنه مرارة السؤال ، فالانسان الذى بين جوارحه حاول أن يتحضر وأن يجارى العصر الذى يعيش فيه ، أراد أن يقبل ذلك الواقع ، ولكن النشأة والبيئة بكل تقاليدها تمردت عليها . وحاول السحار ليلتها أن ينام فلم ينم .

« وفى الصباح رأيتها تتحدث بالفرنسية مع بعض صديقتها . إنها حلوة رقيقة ، ولم تكن وحدها التى ترتدى المايوه على الشاطىء ، وقبل

أن تصفو نفسى إذا بذلك الخشن النافر القابع فى أغوارى يقول فى سخرية : — « أتريد زوجة لك وحدك أم تريد مضيفة لبقة فى طائرة الحياة » .

ولم يكن السحار يقدر أنه سيصير فى عداد الموظفين لاصغارهم ولاكبارهم ، وإنما هو سيكون تاجراً « ليس فى حاجة إلى زوجة تأخذ بيده فى مجتمع بدأت المرأة تلعب فيه دوراً هاماً .

وعندئذ أخذ السحار قراره على رمال الشاطىء :

إننى سأستجيب إلى رغبات جدتى وسأتزوج أبنة عمى التى نشأت فى مثل بيئتى وإن لم تتح لها الظروف أن تواصل تعليمها ، فلست فى حاجة إلى زوجة لبقة تحسن استقبال أصدقائى . فما كان أحداً من أصدقائى فى تلك الأيام ليجرؤ أن يطأ عتبة باب بيتنا ، فالبيت لنا والسلاملك للجميع » .

وشاءت الظروف أن يعمل السحار موظفاً ، وأن يصبح من كبار الموظفين ، وأن يرأس هيئة المسرح والسينما ، وأن يكون أحد ادباء السينما البارزين .. وأن تكون له قصص يشاهدها كل الناس على الشاشة الكبيرة .. كل هذا بعد أن تزوج ابنة عمه ، وانجب منها ثمانية .

القاهرة — ديسمبر ١٩٨٠

صحافة القصة المصرية

المحنة والمحاولة

ليس بالأمر الصعب على الكتاب الذين يتاح لهم أن يكتبوا ما يتاح له أن يوصف بأنه متابعة للحركة الثقافية أن ينتهوا فى سرعة بالغة إلى أن « القصة المصرية » « وصحافة القصة المصرية » تواجه مأزقاً أو منحدراً أو موقفاً هو أقرب إلى عنق الزجاجة أو حتى شفا الحفرة .

وسيكون المثل الشاهد والمؤيد لكلام هؤلاء هو أن مجلة « القصة » التى تصدر عن نادى القصة والهيئة المصرية العامة للكتاب على وشك التوقف . أما البحث عن السبب الذى وراء هذا التوقف فسيقودنا إلى حقيقة أكثر مرارة حتى إذا أخذنا بوجهة نظر الذين يطالبون بالالغاء استناداً إلى أن توزيع المجلة لا يصل إلى ٤ ٪ من إجمالى المطبوع ، فإذا مضينا على نفس الخط وسألنا الذين يقومون على أمر مجلة القصة عن السبب فى هذا التوزيع المنخفض وأجابوا أن انخفاض مستوى الثقافة لا يجعل نسبة الذين يقرأون سوى هذا القدر الضئيل ! فالمسألة إذن مأساة فوق مأساة . فإذا مضينا على نفس الخط أيضاً محطة ثالثة وسألنا الجمهور فإننا نستمع إلى جمهرة من الأسباب لعل من أبرزها انخفاض مستوى المجلة ، وانخفاض القدر المتاح من الوقت لمثل هذا العمل .

ولكنى أتحدى أن تزداد نسبة الذين يقولون أنهم لا يجدون ما ينفقون على شراء المجلة على ٢ –٣ ٪ .

المسألة إذن مسألة مأساوية من جميع النواحى ، والدارسون لتاريخ الأدب العربى المعاصر واجدون فيه بلا شك دورات التاريخ السريعة بين ازدهار واندحار حتى إنك لتستطيع أن ترصد فى ثلاثين عاماً من عمر مصر الأخير ست دورات ن الازدهار والاندحار ، وتستطيع مع دراستك المستفيضة لتاريخ الوطن المعاصر أن ترصد فى ستين عاماً من عمر مصر الأخير عشر دورات من الازدهار والاندحار أيضاً ، هذا فى مجال الثقافة والعلم والتعليم وحدها .

ظاهرة قصر العمر

والمسألة إذن تذبذب أصبحت سرعته تزداد بحيث يقل الزمن المتاح أمام كل دورة من دورات الازدهار أو الاندحار .

وهذا كلام رياضى بحت يحتاج إلى شىء من التوضيح التطبيقى .

وعلى سبيل المثال إذا أخذنا فى الاعتبار أن ظهور المجلة وصدورها واستمرارها هو دورة من دورات الازدهار فإنك تستطيع أن تقارن بين عمر مجلة « الرسالة » لصاحبها الأستاذ/أحمد حسن الزيات فيما بين (٣٤ – ١٩٠٢) (١٨ عاماً) . وبين « الثقافة » للأستاذ/أحمد أمين (٣٩ – ١٩٥٢م) (١٣ عاماً) وبين عمر المجلتين اللتين كانتا فى العصر الأخير جداً « الجديد » (٧١ – ٨٢) ، « الثقافة » (٧٢ – ٨٢) هذا عن المجلات طويلة العمر ، دع عنك المجلات قصيرة العمر لأنى لا أريد أن تذهب فى المدى الذى يصور لك الأمور على أنها ليست عذراً للشباب فحسب ، ولكنها بالإضافة إلى ذلك وأد للبنات !!

دع عنك هذا وتعال معى إلى التأمل فى الأهمية الحيوية لمثل هذه الظاهرة من قصر العمر ، ماذا تمثل ؟ وبماذا تنبىء ؟ وإلام سوف تقود ؟

هذا هو بيت القصيد .. لندخل بيت القصيد من باب علم الصحة الذى علمنا ظاهرة عميقة لم يهتد إليها إلا الأفذاذ من العلماء بعد الأحقاب المتتالية من الخبرة حين قالوا إن « خير وسيلة لخفض معدلات الإنجاب هى خفض معدلات الوفاة » ، وليسمح لى القارىء العزيز أن أقفز به من هذا المعنى العميق إلى حالتنا مباشرةً ، وسوف يستنتج القارىء بنفسه أن موتَ مجلة كمجلة القصة التى تصدر عن نادى القصة والهيئة المصرية العامة للكتاب هو الدافع الأعمق والحقيقى وراء ظهور مجلة القصة التى تصدر عن نادى القصة فى طب الزقازيق وما يناظرها .

وقبل أن أنتقل إلى المعنى التالى أود أن أوضح هنا أن الموت لا يقتصر على التوقف عن الصدور (إنما هذا يناظر توقف القلب عن النبض الذى هو آخر مراحل الموت) وإنما هناك صوراً شتى من الموت العقلى أو الذهنى أو الفكرى أو العصبى أو الحسى أو الحركى ... الخ . أو ما يناظرها فى عالم الفكر والثقافة والفن والأدب .

ولكن هل من الضرورى لكى تصدر مجلة مثل مجلة القصة لنادى القصة فى طب الزقازيق أن تموت مجلة القصة لنادى القصة القومى ؟؟

بالطبع ليس بالضرورى .. ولكن الحادث يؤكد ترابط الحوادث على هذه الصورة التى يسهل فيها الخلط إلى أبعد الحدود !!

بين الأمل والعمل

دعنا نعود الآن إلى أول سطر فى مقالى هذا وسنبدأ نفس البداية ولكن مع المعنى المضاد على طول الخط ، واقرأ معى هذه العبارة ولاحظ أن المقدمة هى نفس المقدمة فى عبارتى الأولى ولكن المعنى عكس الأول ١٠٠ ٪ : ليس بالأمر الصعب على الكتاب الذين يتاح لهم أن يكتبوا ما يتاح له أن يوصف بأنه متابعة للحركة الثقافية أن ينتهوا فى سرعة بالغة إلى أن القصة المصرية وأن صحافة القصة المصرية تواجه ازدهاراً وانتعاشاً أو موقفاً هو أقرب إلى عنان السماء ، وسيكون المثل الشاهد والمؤيد لكلام هؤلاء هو أن هناك مجلة (وضع من أوصاف الاطراء ما تشاء) اسمها مجلة القصة تصدر عن نادى هو أحد النوادى (كذا) فى كلية (من ٢٢ كلية) فى جامعة من (١٢ جامعة) فى مصر .

وهذا الكلام يقبله الذين يحبون الأمل ويقدرون العمل . ولكن الذين يحبون العمل ويقدرون الأمل ينظرون إلى القضية من زاوية مختلفة تمام الاختلاف عن النظريتين السابقتين ، وقد يكون النظر من زاوية أصدق تعبيراً عن الوجهتين من النظر إلى الوجهتين .

على صفحات المجلة

● ● فى مثل هذه المجلة يقرأ الشباب فيدركون كيف يمكن التعبير عما يجيش بصدورهم أو قلوبهم أو عقولهم على النحو الذى عبّر به من هم فى مثل ظروفهم أو سنهم أو قدراتهم .

● ● وبمثل هذه المجلة يثبت الشباب ذاتهم بعد أن يحققوها فى العمل الجاد الذى يمسكون بكل أطرافه ، إخراجاً وتبويباً ورسماً وطباعة وتمويلاً وتوزيعاً .

● ● وعلى صفحات المجلة تنمو الموهبة ، تنمو أولاً حين أتيح لها أن ترى النور ، أو حين أتيح للنور أن يراها ، أو حين ساعد النور على هذا أو ذاك .

وتنمو حين يستمع الكاتب إلى تعليقات الزملاء ، ونقد القراء ، وتشجيع الأحباء ، وشماتة الأعداء ، وتنمو حين يغريه النجاح بالنجاح ، والذيوع بالشيوع ، واللمعان بالبريق ! .. وتنمو حين تضاف الموهبة الجديدة إلى المواهب السابقة وعندئذ يتسع عالم الموهوبين الذى ينتمى إليه صاحب الموهبة .

● ● وبمثل هذه المجلة يدرك الناس – وهذا هو الأهم – أن التعبير عن الرأى يكون بوسيلة مشرفة معبرة وفوق هذا فإن باب الخلود أمامها مفتوح – لن يكلف صاحبه مع الخبرة وطهارة اليد – ولن يكلف هيئة سواء كانت اتحاد الطلاب أو نادى للشباب أو الجامعة أو الكلية ...الخ) إلا قدراً يسيراً من المال مع قدر أكبر من الجهد المركز المتناسق الواعى .

الخبرة نتاج التجارب

على أنى لا أود أن أترك هذه النقطة من غير أن أسارع إلى الرد على الذين سيرفعون الأيدى معترضين باعتذار عن نقص الخبرة التى

اتيحت لهم فى هذا المجال .. وأشهد أنهم فى هذا صادقون كل الصدق ومعذورون كل العذر ومحقون كل الحق .

ولكننى لا أحب لهم أن يكون هذا الموقف مؤدياً بهم إلى نهاية طريق ليبدءوا مسلكاً آخر من الاعتماد على الغير ، ولكنى أود لهم أن يبدأ الطريق من هذه النقطة .. والخبرة ليست إلا نتاج التجارب ، والتجارب ليست إلا مجموعة من التجارب ، تجربة وراء تجربة ، وراء تجربة ، .. ولو كانت تجربة واحدة بكافية لإكتمال الخبرة لسعد الانسان الأول بالفيديو والتليفزيون .

التجارب عمر طويل ، ولكن الخبرة مع هذا قدر جميل يتزايد بإطراد ولا ينقص .. الخبرة مع هذا كذلك تراكمية الطابع ، متداخلة العناصر ويكفى أن أضرب لك مثلاً بخبرة التعامل مع السوق وأهل السوق فهذه تنمو معك بسرعة وتظل معك فى كل تعامل .

الخبرة تجربة واعية ، فإذا كانت التجربة بلا وعى ظلت محاولات ، وشتان بين محاولات تقف فى الطريق وخبرة مكتملة باكتمال العمل .

والخبرة تجربة مدروسة ، فإذا لم تكن هناك دراسة خرجت النتائج مشوهة ، تستدعى من الناس الشفقة على الجهد الذى بذل فيها .

وفى مثل مجالنا هذا فقد علمتنا الخبرة أن الجهد الأكبر يجب أن يوجه إلى الماكيت والبروفات بصرف النظر عن كل ما عدا ذلك من أمور . وقد نصحت كثيراً من الزملاء بكل الاخلاص أن يوجهوا

عنايتهم القصوى إلى هذه الناحية من الاعداد المتأنى الفنى المدروس الذى يُعنى بالفاصلة والنقطة والخط عنايته بالعنوان والموضوع فكانوا للأسف يعنون باسم كاتب المقال فحسب ، فلم تنل الاساءة التى لحقت بالعمل فى النهاية إلا اسم كل كاتب مقال .

أردت بهذا الحديث الطويل أن أشير فى شيء من التفاصيل إلى ذلك الجهد الكبير من الإخراج الذى بذل الزميلان رئيس التحرير ومدير التحرير فى هذا العدد .

ومع هذا فإنى أحب أن أقول أن هذا ليس نهاية المطاف .. كنت أود ألا أقولها إلا أنى آثرت الصدق على الصداقة وحب العمل على حب الأمل .

أنسب النوافذ

وحين يزداد عدد هذه المجلات تزداد نوافذ حياتنا الثقافية .. وحين تزداد النوافذ وتزداد خبرتنا بما تأتينا به النوافذ من هواء ومن غير هواء ، وبخصائص هذا الهواء الصحى نستطيع حينذاك ، وأرجو ألا يكون ذلك بعيداً – أن نكتشف أى النوافذ أنسب ليكون محل اعتمادنا الأساس عليها ، ويومئذ سوف نعطى لهذه النافذة الوضع الذى يجب أن يكون لها على المستوى القومى من دون أن نغلق النوافذ الأخرى ، بل على العكس من ذلك فإن التيار القوى الآتى من النافذة الواسعة سيفتح نوافذ أخرى لو تركت وذاتها لمالت إلى الانغلاق .

أليس ذلك بخير وأجدى من محاولاتنا القومية الكبرى شبه الفاشلة أو المُفشلة أو المتهمة بالفشل ؟؟

العريش – يناير ١٩٨٣

للمؤلف

١ - الدكتور محمد كامل حسين عالما ومفكراً وأديبا .
٢ - مشرفة بين الذرة والذروة .
٣ - كلمات القرآن التى لا نستعملها .
٤ - من بين سطور حياتنا الأدبية .
٥ - يرحمهم الله .
٦ - أحمد زكى حياته وفكره وأدبه .
٧ - الحلول الجزئية هى الأجدى . . أحياناً .
٨ - الشهيد عبد المنعم رياض . . سماء العسكرية المصرية .
٩ - مايسترو العبور المشير أحمد إسماعيل .

تطلب جميع هذه المؤلفات من الهيئة العامة للكتاب ، والمعرض الدائم للكتاب بكورنيش النيل ، وتوزيع الاهرام - شارع الجلاء ــ القاهرة .

الغلاف : المترو بول : م . و يلك

رقم الإيداع ٤٣٠٨/١٩٨٤

ISBN 977 - 1405 - 02 - 0

This book

This book comprises six chapters, all of them are originally steming from within our literatural life:

1. The secret of wisdom of Mr. Tawfik el-Hakeim (born in 1898), the head of Arabic Theatre.

2. The clash between Dr. Taha Houssein (1989 - 1973) the head of Arabic Literature and professor Ahmed Amin (1886 - 1954), and the descripancies between their personal ties in eloquent literatural scentences described by Ahmed Amin himself.

3. "El-Aq'ád": The largest contemporary Arabic journalist (1889-1964); How did he violently attacked the late King Found (1930) whereas he greatly praise his son the late King Farouk (1950)? It looks like the two sides of a coin!

4. "Dr. Zaki Mobarak": (1895-1952), the largest Arabic critic, had obtained so many literatural certificates and degrees and therefore he named himself «The Doctors». How he bitterly criticized the Arabic Language Academy and his members, one by one as they had not honoured him with the prize of Best poetical works.

5. Abdel Hamid Gouda el-Sahár (1913-1974), one of the first pioneers in the Arabic literature, and the late president of Cine Authority. This chapter displays how did he take his decision to get married and to whom?

6. And Finally an introduction given by the author on the newly-published magazine, «The Story», by his colleagues in the Faculty of medicine.

Dr. Mohamed El Gawady

P.O.Box 177 Orman - Cairo.

FROM WITHIN OUR LITERATURAL LIFE

Dr. Mohamed El-Gawady
State Prize of Literature (Biography)
Arabic Language Academy Prize of Literature

Dar el Atebaa